



سلطة الإمام لم تعد محصنة ضد غضب الجماهير

شعار الموت لخامنئي يتردد مجددا في شوارع طهران

إسقاط القداصة عن المرشد الأعلى أخطر على النظام الإيراني من أي عقوبات

بين قرنين، انتصار الثورة الإيرانية من فترات الضحوة الإسلامية، قائلا "لقد أقام الخميني دولة للإسلام في إيران، وكان لها إيجاباؤها وتأثيرها على الضحوة الإسلامية في العالم، وانبعثت الأمل فيها بالنصر".

ليس خافيا أن النظام الإيراني استفاد من التحولات الكبرى في المنطقة، حيث استفاد من الانحدار من الاتحاد السوفياتي المنهار في تطوير صناعاته الحربية، ومن احتلال العراق في توسيع مجاله الحيوي في المنطقة العربية، ومن التشدد السلفي السني في تلميع صورته كقوة تحارب الإلهاب، دون الانتباه إلى الإلهاب البديل الذي كان يخرسه من خلال الميليشيات الطائفية في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها.

العراقي لم يعد يقبل بأن تقوده حكومة تدار من طهران، ولا اللبناني يقبل بنظام جزء منه يخضع لأوامر الولي الفقيه، حتى الإيراني حرق صور الخميني ووصف خامنئي بالديكتاتور

واستفاد النظام الإيراني من فشل السياسات الأميركية سواء في أفغانستان أو العراق، ومن دعم واشنطن لإسرائيل ما جعله يحظى بإعجاب نسبة مهمة من العرب من تيارات مختلفة بما فيها القومية واليسارية، التي رأت فيه نموذجا لاستقلالية القرار الوطني الذي تطمح إليه.

تراجع القوة

اليوم، انقشع الضباب وعرفت الشعوب طريقها، وارتخت قبضة النظام الإيراني. لم يعد العراقي قابلا بأن تقوده حكومة تدار من طهران باسم الانتصار للطائفة، ولا اللبناني يقبل بأن يستمر في الخضوع لنظام طايفي جزء منه يخضع لأوامر الولي الفقيه، حتى الإيراني خرج إلى الشوارع ليعلمن تمرده على حكم المرشد الأعلى وليحرق صور الخميني ويصف خامنئي بالديكتاتور.

إن أولى خطوات الإطاحة بالنظام العقائدية الاستبدادية هي نزع القداصة المصطنعة عنها وإسقاط الحاجز النفسي الذي كان يحميها من غضب الجموع، وهذا ما حدث في إيران والمنطقة، وستكون له آثاره المهمة والحاسمة في صناعة المستقبل.

حملة عالمية تطالب بتويت
بحظر حسابات خامنئي

تعمل إيران على شيطنة الاحتجاجات المستمرة في جميع أنحاء البلاد وتحقيرها، وفي نفس الوقت تنتشر آلة القمع التي أدت إلى مقتل عدد من المتظاهرين، والانتفاضة مارلت في أول أيامها. ويفضح هذا الموقف قلق النظام الإيراني من الاحتجاجات، التي انبثقت نيرانها من رماد تاريخ الجمهورية الإسلامية رفع شعار "الموت للمرشد الأعلى"، اليوم يتردد ذلك الشعار بصوت أكثر قوة وبشكل أخطر بعد أن أسقط المحتجون الشيعة، في إيران وفي لبنان والعراق القداصة عن الولي الفقيه.

الإنسان لله، أما الشعب فيمارس حق السيادة "الممنوح له من قبل الله" بما لا يختلف مع الشريعة.

المذهب لدى الخميني هو الوعود الذي جرىك المشروع القومي الفارسي، وهو الذي كان قال مع بداية ثورته التي وصلت به إلى الحكم المطلق للبلاد في فبراير 1979 "لقد حكم هذه المنطقة، الأثر لك عدة قرون والأكراد لعدة قرون، والعرب لعدة قرون، وأن للفرس أن يحكموها لقرون طويلة".

برز الخميني في مقدمة المشهد كظل لله في الأرض وكنايب للمهدي المنتظر صاحب الزمان في عقيدة الإثني عشرية، وكوصي على الطائفة والمذهب داخل إيران وخارجها، ومكبهما لطريق العودة أمام الإمام المهدي، بما يعنيه ذلك من تحوله إلى مبعوث إلهي للمساعدة على إتمام رسالة الإسلام كما يراها.

كانت العصبة المذهبية السلاح الأقوى الذي اعتمده الخميني في ضرب العصبات العرقية والقبلية والجهوية في بلاده التي تضم الفرس والعرب والأكراد والبلوش والسنن والتركمان والأذربيين وغيرهم، ولتغليب العنصر الفارسي الذي لا يتجاوز 50 بالمئة من عامة الشعوب الإيرانية البالغ تعدادها 80 مليون نسمة، كان لا بد من اعتماد المذهب الذي يجمع 80 بالمئة من الشعب، بما يعني أن جدواه تبدو أكبر من جدوى العرق.

لناكيد قوة الاعتماد على الناحية المذهبية الطائفية، اتجه الخميني إلى تعويم مشاغل شعبه في طموحات إقليمية استهدفت بالأساس العرب، واتسعت إلى غيرهم من الشعوب والقوميات، من خلال رفع جملة من الشعارات الثورية كالإدعاء عن المستضعفين ضد الاستكبار العالمي، ورفع المظلومية عن الشعوب والطوائف، والتحالف مع قوى التحرر في العالم، ودعم المقاومة ضد إسرائيل.

اكتسب الخميني، ومن بعده خلفه خامنئي، مكانة تحيط بها هالة من القداصة المصطنعة التي كان الإخوان المسلمون من أول المبشرين منها، عندما رأوا فيها انتصارا للإسلام والمسلمين، حتى أن المرشد العام الأسبق للجماعة عمر التلمساني أكد في العام 1984 عندما كانت الحرب العراقية الإيرانية في أوجها "لا أعرف أحدا من الإخوان المسلمين في العالم يهاجم إيران"، بينما اعتبر يوسف القرضاوي نفسه في كتابه "امتنا

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

تحويل كبير تشهد المنطقة من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى النفسية بسقوط رمزية الولي الفقيه أو المرشد الأعلى تحت أقدام المنتفضين. بعد اليوم لا يمكن الحديث عن قداصة الخميني ولا خامنئي. هناك إجماع على أن الجدار النفسي الذي كان يحصن سلطة الإمام من غضب الجماهير، قد انهار نهائيا.

اليوم، بات صدق شعار "الموت للمرشد الأعلى" يتردد بصوت عال في شوارع طهران، بعد أن عادت إليها الاحتجاجات. وما يقلق النظام أكثر أن هذا الشعار، الذي رفع لأول مرة في احتجاجات أواخر العام 2017، يأتي متناسقا مع شعارات قادمة من لبنان والعراق رافضة للتواجد الإيراني فيها وكاسرة لاحترام طهران لدور حامية الشيعة.

قداصة زائفة

منذ 40 عاما، ونظام الملالي في إيران يحيط نفسه بهالة من القداصة الزائفة التي استطاع أن يحمي بها وجوده ويرسخ بها نفوذه في الداخل والخارج. تحول النظام إلى حالة كهنوتية تتحكم في مصائر الناس باسم الدين والمذهب. مارس أشبه أشكال الدكتاتورية في حق مواطنيه تحت شعارات القدسية المصطنعة التي ادعاه، والتي ساعده على تكريسها المستفيدون من غطاءه العقائدي ضمن منظومة تشكيلات العمل الثوري التي تكونت منها طبقة اقتصادية تتحكم في موارد الدولة، وتتركزت داخلها تيارات عرقية عنصرية تطمح إلى استعادة التوسع الإمبراطوري الفارسي بخطاب وجد لفترة ما صداه في الداخل الملحنون بالة القمع والفقر.

ابتدع الخميني نموذجا للحكم يعتمد على ولاية الفقيه، ورغم أن الدستور يعتبر الشعب في إيران مصدرا للسلطات، فهو الذي ينتخب رئيس الجمهورية ونواب البرلمان وأعضاء مجلس الخبراء، لكن حاكميته تبقى في مرتبة دنيا أمام حاكمية الله التي يمثلها المرشد الأعلى، حيث تقول المادة 56 من دستور إيران "السيادة المطلقة على العالم وعلى

محور السلام في القرن الأفريقي ينتصر بتطبيع العلاقات بين كينيا والصومال

على نفويت الفرصة على تطبيق تفاهات نيروبي. ويوقف تطبيع العلاقات مع كينيا أو غيرها زحف واحدة من الخلافات الطويلة في المنطقة، ويرمي بحجر جديد في مياه التنظيمات المتطرفة التي تنتعش في ظل استمرار التوترات، ويقطع الطريق على استكمال مشروع ربط السلام بالتنمية، والعكس، وينهي أحلام القوى التي راهنت على تسخير حركة الشباب كراس حربة في هذه المنطقة.

وأكدت الأمم المتحدة في 13 نوفمبر أن حركة الشباب لا تزال تمثل أكبر تهديد مباشر للسلام والأمن في الصومال. وقالت في تقرير مشترك مع مجلس الأمن الدولي إن الغارات الجوية الأميركية تصاعدت ضد مسلحين ينتمون للحركة وجعلتها في حالة عدم توازن، لكن لم تؤثر على قدرتها في شن هجمات منتظمة في أنحاء الصومال.

وتطالب كينيا بوضع حركة الشباب على قائمة المنظمات الإرهابية لدى مجلس الأمن الدولي، وتشكيل موقف متناسك قوي ومناهض لها يسمح بمطاردتها بصورة جماعية ومنظمة، الأمر الذي رفضته الحكومة الصومالية أكثر من مرة، بذريعة أن استهدافها سوف تكون له تداعيات إنسانية سيئة على المناطق التي تقطن فيها.

بينما يرى متابعون أن مقديشو لا تزال على علاقة بحركة الشباب والدول التي ترعاها وتوفر لها الدعم المادي، مثل قطر وتركيا، وهما لا تريدان التفريط في هذه الورقة حاليا، ويجدوهم أمل في استغلالها لمنع نجاح محور السلام والتنمية.

أسئلة دون إجابات

تخوض نيروبي حربا ضد الحركة ضمن بعثة قوات الاتحاد الأفريقي (أميصوم) العاملة في الصومال. وتعرضت مناطق مختلفة في كينيا لهجمات من الشباب، أبرزها هجوم مسلح وقع في بناير الماضي على مجمع يضم فنادق ومكاتب تجارية في نيروبي. وفي عملية تستهدف خلط الأوراق، أشار مندوب الصومال في الأمم المتحدة إلى أن نيروبي تسمح بتصدير الفحم من الموانئ الصومالية التي تسيطر عليها القوات الكينية، وهناك قرار بحظر تصديره لأنه يدر دخلا لحركة الشباب التي تسيطر على الكثير من

مناجحه، ولو كانت نيروبي تريد مواجهة الحركة لماذا تسمح بذلك؟ وتشير هذه النوعية من المواقف إلى إثارة الغبار حول أي بادرة أمل لضبط العلاقات بين البلدين، وتصر على جعلها حبيسة لميراث قديم من الخلافات ولا تبرزها للدرجة التي أدت أحيانا إلى وضع حركة الشباب والحكومة الصومالية في سلة واحدة. وكي

تستقيم الأمور من الواجب أن تعلن كل جهة مواقفها بوضوح وصرامة من الحركات المتشددة التي تمارس إرهابا لم يعد خافيا على أحد، وطالما بقيت الحيل والمناورات تحت غطاء حماية السكان وحقوق الإنسان ستظل الجماعات المتطرفة تترجم وتمارس هوائيتها في القتل، بما يمنح القوى التي تقف خلفها حياة جديدة، بعد أن بدأ محور السلام والتنمية يحقق قفزات كبيرة في منطقة القرن الأفريقي.

الحركات المتطرفة، وفي مقدمتها حركة الشباب الصومالية التي مارست نشاطا إرهابيا كبيرا داخل الأراضي الكينية، وكبدتها خسائر فادحة. وتميل نيروبي نحو دعم الحلول السياسية، وتخشى أن يقضي انتصار مقديشو في ملف النزاع البحري بعد وصوله إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي، إلى إثارة نزاع آخر مع تنزانيا في الجرف القاري الخاص بالمحيط الهندي، ناهيك عن تفجير النزاع القديم حول الحدود البرية في شمال شرق كينيا، ويقطن هذه المنطقة سكان من أصول صومالية، وشهدت حركات انفصالية سابقا، وخيمت القضية بظلالها القائمة فترة طويلة على العلاقات بين البلدين، وحالت دون تطورها في أوقات كثيرة.

منطقة القرن الأفريقي مقبلة على تحولات لن تفيد معها الحيل التقليدية التي تعتمد على تشجيع العنف، والتحالف مع التنظيمات الإسلامية المتشددة

وانفجر الخلاف البحري بين كينيا والصومال، عندما طرحت الثانية أمام مؤتمر لندن الاقتصادي في فبراير الماضي عطاءات للتنقيب عن النفط والغاز في 50 حثلا بحريا، بينها المنطقة المتنازع عليها مع نيروبي، والتي اعتبرت ذلك بمثابة "استيلاء غير مسبوق وغير قانوني على مواردها"، ولوحت باستخدام القوة العسكرية.

وتدهورت العلاقات سريعا في مايو الماضي، واستدعت نيروبي سفيرها في مقديشو، وهددت بإرسال قوات لحسم الموقف لصالحها، عقب طرح الصومال حقول نفط وغاز في المنطقة البحرية المتنازع عليها في مزاد شاركت فيه شركات عالمية.

ووقع الموقف مع عقد محكمة العدل الدولية أول جلسة استماع للطرفين في سبتمبر الماضي، وعادت العلاقات إلى نقطة الصفر، وتم واد المحاولة التي جرت لتصفيتها في مارس 2017، عندما نجحت في تجاوز بعض الخلافات السياسية والأمنية مؤقتا.

وجند النزاع البحري جراحا بين الجانبين، ودفع مجموعة المراقبة التابعة للأمم المتحدة والمعنية بالصومال مؤخرا إلى التحذير من مغبة تداعيات عمليات التنقيب

على جهود إحلال السلام في بلد يعاني من تردي كبير في الأوضاع، لأن الخلاف ينذر بدخول المنطقة صراعا يفتتح الباب لإثارة غزرات قومية، على خلفية التنقيب عن الموارد الطبيعية والمرشح أن تتزايد ما لم يتم حل الأزمات بالوسائل الرضائية. وتواترت معلومات كثيرة الفترة الماضية حول زيادة اهتمام شركات عالمية للاستفادة من الإمكانيات الاقتصادية المدفونة في قاع المحيط الهندي، والموانئ، والأراضي القريبة منه، ما يجعل السلام مطلبا ضروريا، بل مدخلا مهما لتحقيق التنمية عبر تحالفات تستند على شبكة قوية من المصالح الحيوية، وتجاهل تكريس السبل القديمة للصراعات التي جنت من ورائها بعض القوى مكاسب كبيرة.

أثار التفاهم بين الرئيسيين كينياتا وفرماجو تساؤلات سياسية في مقديشو، واتهمت المعارضة الرئيس الصومالي بالتنازل عن قضية النزاع البحري لصالح كينيا، بغرض فرملته عن المضي قدما في عملية التهدة، وحضه

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

حققت الدول الراغبة في إنهاء الصراعات وتغليب التنمية في منطقة القرن الأفريقي نصرا سياسيا جديدا، باتفاق كينيا والصومال في 15 نوفمبر الجاري على تطبيع العلاقات بينهما وبحث سبل تعزيزها، عقب لقاء جمع في نيروبي الرئيس أهروو كينياتا ونظيره الصومالي محمد عبدالله فرماجو، بعد توتر بين الدولتين بسبب خلاف حول حدود بحرية ممتدة تحتوي على كميات كبيرة من النفط والغاز.

أعاد الاتفاق تغليب لغة الحوار والتفاهم على الصراع والاقتتال وحل النزاعات بالآليات العسكرية، وهو ما تستفيد منه بعض القوى المتشددة والسدول الداعمة لها، حيث وجدت في العمل المسلح وانتشار الإرهاب وتوسيع نطاق الفوضى أداة رئيسية لتحقيق أطماعها في منطقة عانت كثيرا من التوترات، بما انعكس سلبا على مستوى معيشة المواطنين.

وكانت لكل من السعودية والإمارات بصمات واضحة على السلام والتنمية في كثير من دول القرن الأفريقي، حيث رعنا اتفاق سلام بين إثيوبيا وإريتريا العام الماضي، وأذابت بعض الجليد بين جيبوتي وجيرانها، وشجعنا على جلب السلام في السودان، وساهمتا في كثير من المشروعات التنموية في غالبية دول الإقليم.

مثلت هذه الخطوات نقلات نوعية في مسيرة المنطقة، وعادت إليها قدرا من الهدوء والاستقرار، وفتحت أمامها فرصا وأعدا تعاون مشترك بدأ يتوسع ليشمل جميع الدول تقريبا. وقد أخذت هذه الدول على عاتقها تصفية الخلافات المزمدة، والبحث عن أدوات دبلوماسية لحلها، ما يتطلب المزيد من الجهود لتجاوز العقبات التي تعترض هذا المسار.

ووقع الصومال وإثيوبيا اتفاق تعاون في يونيو من العام الماضي خلال زيارة قام بها أبي أحمد، رئيس الحكومة الإثيوبية لمقديشو، لتعزيز العلاقات الثنائية واستمرار تعاونهما. وقام أبي أحمد باصطحاب فرماجو إلى نيروبي في 5 مارس الماضي، لعقد مفاوضات مباشرة مع الرئيس كينياتا لتحسين العلاقات، لكنها لم تحدث تغييرا كبيرا في حينه.

اهتمام بتحقيق السلام

بدأت بعض القوى الدولية ترمي بقلها وتشجع التكررات الرامية لنشر السلام في منطقة القرن الأفريقي التي عانت من انفلات حاولت جهات كثيرة استثماره وتوظيفه لصالحها عبر مد سبل الحياة للكتائب المسلحة.

وأعلنت الولايات المتحدة قبل أيام انخراطها لتسوية منسكلات إحلال السلام في كل من السودان وجنوب السودان، والمساهمة في إيجاد حل نهائي لأزمة الحدود البحرية والبرية بين كينيا والصومال، ما يشي بأن هناك تغيرات جديدة سوف تدخل على التوازنات السائدة، قد تحدث خلا في المعادلة التي اعتمدت على استمرار الصراعات كحدد وحاكم لهذه المنطقة.

التغيير يمنح دفعة قوية لمحور السلام في القرن الأفريقي، ويشجع الدول التي تتبنى منهج التنمية لتطوير العلاقات الإقليمية على الاستمرار

يمنح هذا التغيير دفعة قوية لمحور السلام في القرن الأفريقي، ويشجع الدول التي تتبنى منهج التنمية لتطوير العلاقات الإقليمية على الاستمرار. والأهم أنه يرسل إشارة قوية للمحور المناهض الذي تقوده قطر وتركيا، ومعها إيران، بأن المنطقة مقبلة على تحولات لن تفيد معها الحيل التقليدية التي تعتمد على تشجيع العنف، والتحالف مع التنظيمات الإسلامية المتشددة، كإداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية.

ووجود كينيا أن تصعيد الخلاف مع الصومال سيضعاف من أزماتها الاقتصادية، ويضخ الدماء في شرايين

